تعيين تعلق الظرف والجار والمجرور وأثره

في تحديد بؤرة النص القرآني

أ. م. د. مازن موفق صديق الخيرو

أ. م. د. محمد ذنون يونس الراشدي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٥، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٩

تعيين تعلق الظرف والجار والمجرور وأثره في تحديد بؤرة النص القرآني

أ.م.د .مازن موفق صديق الخيرو
أ.م.د .محمد ذنون يونس الراشدي

جامعة الموصل / كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٥/٢٤ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٠/٣١)

ملخص البحث:

إن هذا البحث يسلط الضوء على دور تعلق كل من الظرف والجار والمجرور وأثره في تحديد بؤرة النص وغايته ، وهي من متعلقات الفعل الأخرى الكثيرة ، ذلك إن كل نص يحمل في طياته مجموعة من التراكيب ، وهي موظفة توظيفا دقيقا من أجل إبراز غايات المتكلم العميقة ، إلا أن هناك تركيباً من بين التراكيب التي اشتمل النص عليها تتركز فيه أهداف النص ، وتتحقق من خلاله أولوياته ، وأبعاده وخفاياه ، ويودي دوراً محورياً وفاعلاً داخل النص ، حيث تتعطل قيمة النص عند الخلو منه وتكون الفائدة المرجوة منه غائبة ، وكذلك التركيب الواحد يحمل في طياته ، متعلقا ظرفياً أو جاراً ومجروراً يسهم بشكل بارز في تحديد دلالة التركيب الأصلي المتكونة من الأركان الأساسية للتركيب كله . إن هذا البحث يحاول أن يثبت أن هذه الأدوار التي تمارسها متعلقات الفعل ، وبخاصة الظرف والجار والمجرور ، تسهم في تحديد بؤرة التركيب كله وبيانها ، لاشتمالها على عناصر الثقل التي سيق التركيب من أجل بيانه وتحديده .

Abstract:

This research paper highlights the role of what is attached to the verb in determining the focus and purpose of the text taking into consideration only adverbs and prepositional phrases . Each text carries a range of structures which are employed accurately to highlight the speaker's deep goals, but there is a structure among these structures which the text includes and concentrates on the objectives of the text, where its priorities , dimension and mysteries are realized via it . Also , the structure plays a pivotal and active role within the text. If the text does not have such structure ,it becomes useless . So the structure that an adverb or a prepositional phrase is attached to participate too much in determining the semantics of the original structure consisting cornerstones. This research comes to prove that these roles exercised by the verb attachments , adverb and prepositional phrases contribute to determine the focus of the whole structure and its explanation, because they contain main elements for which the structure is built in order to explain it .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإن من أهم الأسباب التي دعتنا إلى اختيار عنوان هذا البحث الموسوم بـ (**تعيين تعلق الظرف والجار والمجرور وأثره في تحديد بؤرة النص القرآني**) قلة الدراسات التي تناولت الموضوع فاغلبها يركز على العمد أما دراستنا فتركز على الفضلة وتعدها بؤرة النص القرآني ، فهذه الدراسة تسلط الضوء على دور متعلقات الفعل في تحديد بؤرة النص وغايته ، وذلك فيما يتعلّق بالظرف والجار والمجرور دون متعلقات الفعل الأخرى الكثيرة وهي فضلة ، ذاك أن كل نص يحمل في طياته مجموعة من التراكيب ، وهي موظفة توظيفاً دقيقاً من أجل إبراز غايات المتكلم العميقة ، إلا أن هناك تركيباً من بين التراكيب التي اشتمل النص عليها ، تتركّز فيه أهداف النص ، وتتحقق من خلاله أولوياته ، وأبعاده وخفاياه ، ويؤدي دوراً محورياً وفاعلاً داخل النص ، حيث تتعطّل قيمة النص عند الخلو منه ، وتكون الفائدة المرجوة منه غائبة ، وكذلك التركيب الواحد يحمل في طياته ، متعلقاً ظرفياً أو جاراً ومجروراً يسهم بشكل بارز في تحديد دلالة التركيب الأصلي المتكون من الأركان الأساسية للتركيب كله ، فالتركيب يتشكّل في العربية من أركان أساسية يطلق عليها (المسند والمسند إليه) ، ومن أركان غير أساسية ، بمعنى أنه يمكن للتركيب التحقق والإفادة من دونها ، وهي التي أطلق عليها البلاغيون والنحويون مصطلح (متعلقات الفعل) ، كالمفاعيل والحال والتمييز والاستثناء والظرف والجار التي لا يمكن الاستغناء عنها في تحديد المعنى ، بل لها دور كبير في تحديد المعنى وتوجيهه ، تعميماً وتخصيصاً وتوسيعاً وتضييقاً وإطلاقاً وتقييداً ، وما إلى ذلك من مهام كبرى ، ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر على حد معرفتنا ؛ لأن الدراسات كما أسلفنا تركز على العمد في تحليلاتها ، وقد استطعنا التغلب على هذه الصعوبة من خلال التعمق في فهم النص القرآني وسياقه التركيبي عموماً لاستكناه الجواهر الخفية والقيم الأسلوبية لهاتين الفضلتين (الظرف والجار والمجرور) ، وكذلك الاستعانة بالتفاسير القرآنية والدراسات الوظيفية التي أعطت أهمية قصوى لوظائف التراكيب ، ويأتي هذا البحث ليثبت أن هذه الأدوار التي تمارسها متعلقات الفعل ، وبخاصة الظرف والجار والمجرور وغيرهما ، تسهم في تحديد بؤرة التركيب كله وبيانها ، لاشتمالها على عناصر الثقل التي سيق التركيب من أجل بيانه وتحديده ، فمع كونها تقوم بمهام خدمة التركيب الأساسي المتمثل بالمسند والمسند إليه ، إلا أنها قد تحتوي أحياناً على العنصر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحوري ، الذي يدور التركيب ويحوم حوله ، فيأتي الظرف والجار والمجرور مشحونين بعمق التركيب وأبعاده ، ويتركّز فيهما المعنى تركزاً يجعلهما الفاعلين الأساسيين والمتحكمين الأكبرين بالتركيب كله.

أما بالنسبة لخطة البحث فقد اشتملت على مقدمة ومبحثين – مبحث نظري وآخر تطبيقي وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

الجانب النظري لمفاهيم العنوان

قبل الولوج في أثر الظرف والجار والمجرور في تحديد بؤرة النص القرآني المعجز، لا بدّ لنا من التوقف عند المصطلحات الآتية : (المتعلق والبؤرة وشبه الجملة الظرف والجار والمجرور) بشكل موجز دال ، وتناول أنواع المتعلقات بالذكر والبيان ، كما وضحها الدارسون المتقدمون والمحدثون ، وبيان مفهوم الظرف والجار والمجرور عند النحويين والبلاغيين ، وهي مفاهيم تتعلق بعنوان البحث .

– التعلق والتعليق لغة واصطلاحاً :

أولا : التعلق والتعليق لغة :

إن (**المتعلق**) **لغة :** اسم فاعل ، والفعل منه (تعلَّق) ، والمجرد منه (عَلِقَ) ، ويستعمل لمعانٍ كثيرة أهمها : النشوب والتشبث بالشيء واللهج به ولزومه [١] ، وبهذا يتضح أنَ دلالة (التعلق) المعجمية هي لزوم الشيء والتمسك به والتشبث به ، وهذا ما يستلزم الارتباط والاتصال بالشيء ، سواءٌ كان هذا الارتباط مادياً كالتعلق بالحبل ، أو معنوياً كتعلق الحبيب بحبيبه.

وأما اصطلاحاً : فقد تناول النحويون والبلاغيون مصطلح (متعلقات الفعل) وقصدوا بها الألفاظ المتصلة بالفعل غير الأساسية (أي : ما عدا المسند والمسند إليه) ، التي تحدد علاقة الفعل ببقية أجزاء التركيب ، فيقصد بالمتعلقات عند النحويين : ما يتصل بالفعل ويتعلق به من فاعل ، ومفعول به ، ولأجله ، ومصدر، وزمان ، ومكان ، وسبب ، وحال ، وتمييز، وغير ذلك كالجار والمجرور والظرف ، فالفعل يلابس هذه الأشياء

---

[١]) ينظر : مادة (علق) في : العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م : ١٦١/١ – ١٦٥ ؛ لسان العرب– ابن منظور، محمد بن مكرم ، بيروت ، دار الفكر: ١٠/ ٢٦١ ، تاج العروس من جواهر القاموس– الزَبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ه ـ) ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، الكويت : ٢٦/ ١٩٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكثيراً ما يأتي وقد جرّ وراءه هذا الحشد الهائل ، وكله متصل به بوجه من الوجوه ، والفعل مسند حتماً ، فأحوال متعلقات الفعل هي أحوال متعلقات المسند إذا كان فعلا ، أما البلاغيون فقد جعلوا المتعلق باباً مستقلاً لكثرة مباحثها فقط ؛ لأنها في الواقع فرع من فروع أحوال المسند[٢] ، فهي عندهم : المفاعيل بأنواعها ، والحال والتمييز والاستثناء والظرف والجار والمجرور، فهذه الأجزاء التي تدخل في التركيب تتصل بالفعل سواء كان مذكوراً أم مقدراً ، وتعمل على توجيه معنى الفعل توسيعاً وتضييقاً ، وتعميماً وتخصيصاً [٣]، ووضح الكفوي وقوع المجاز في إطلاق مصطلح المتعلق على العامل والمعمول ، بقوله : " وَإِطْلَاق الْمُتَعَلّق بِالْكَسْرِ على الْمَعْمُول وبالفتح على الْعَامِل وَهُوَ الْمُتَعَارف مَعَ أَنه يجوز بِالْعَكْسِ ، والسر فِيهِ أَن التَّعَلُّق هُوَ التشبث والمعمول لضَعْفه متشبث بعَامله ، وَالْعَامِل لقُوته متشبث فِيهِ " [٤].

وعرّف الدكتور قباوة من المعاصرين التعلق بقوله : " هو الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث، وتمسكها به ، كأنَّها جزء منه ، لا يظهر معناها إلا به ، ولا يكتمل معناه إلا بها " [٥]، أي : أن المعنى يمكن أن يكون كاملاً في الجملة من دون الحاجة إلى شبه الجملة ، لكن بذكرها سيكون المعنى أتم و أكمل ، ولا بدّ للظرف أو الجار والمجرور من متعلَّق، فنقول مثلاً : سافر صالح من الرياضِ إلى الدمامِ بالطائرة ليزور والده ، فـ(من الرياض) و(إلى الدمام) و (بالطائرة) ، الجارّ في كلٍ متعلق بـ (سافر) ، فمعنى التعلق : هو

---

٢) ينظر : جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي : ١٦٣ ، وينظر : خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د . محمد أبو موسى : ٣١٧ ، وينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي : ١ / ١٩٦ .

٣) ينظر: إعراب القرآن– النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد(ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط٣ ، ١٩٨٨م : ١/ ٢٩٨ ، الحجة في علل القراءات السبع– الفارسي ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٠م : ٢/ ٣١٠ ، شرح المفصل– ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي(ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة : ١/ ٥٧٧ .

٤) الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، قابله وأعده للطبع ووضع فهارسه : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٩٨م : ١/ ١٤٠.

٥) إعراب الجمل وأشباه الجمل ، حلب، سورية ، ط٥ ، ١٩٨٩م : ٢٧٣ ؛ وينظر: شبه الجملة في اللغة العربية ، عبد الله إبراهيم عبد الله (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، بغداد ، ١٩٨٣م : ٩ ، شبه الجملة دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم ، د . موزان محمد فؤاد فهمي ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م :١٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه ، فضلاً عن دلالته على الحيّز الذي يقع فيه هذا الحدث[٦] ، وقد نصَّ النحويون في كتبهم على وجوب تعلق شبه الجملة إذ قال ابن يعيش : " إنَّ الظرف والجار والمجرور لابد لهما من متعلق به " [٧] ، والسر في ذلك الاعتقاد يعود لما قاله العلوي : " فأما وضع حروف الجر فإنَّما هو لاتصال معاني الأفعال بالأسماء ويختلف ذلك الاتصال باختلاف معانيها . . . " [٨] .

كذلك الظرف فقد جاء في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : "حروف الجر لا بد لها من فعلٍ تتعلق به ؛ لأنها جاءت لتوصل بعض الأفعال إلى الأسماء ، نحو قولك : قمتُ إلى زيدٍ وذهبتُ من دارِك . . . وهذا حكم الظرف ، نحو: يومَ الجمعة وخلفكَ وما أشبه ذلك ؛ لأنَّ الأصل في جميع ذلك أن حرف الجر حُذِفَ ، فإذا قلتَ : القتالُ يومَ الجمعةِ ، فالتقدير: في يومِ الجمعةِ ، وكذا : زيدٌ خلفك ، الأصل : في خلفك . . . " [٩] ، وقد أشار النحويون إلى قيمة المتعلق الفعلي والاسمي في إظهار معنى شبه الجملة ، فالعامل : " يُظهر معناها، ويربطها بعملٍ يملؤها وينصبها ظاهراً أو تقديراً . . . " [١٠] .

أما أهميته للمتعلَّق به فهي لا تختلف عن فائدة أي نوع من أنواع التقييد وهي : " تربية الفائدة ؛ لأنَّ الحكم كلما كثرت قيوده كثرت فوائده " [١١] ، وهذه الفائدة (التقييد) هي عينها ما عُرِفت عند الدارسين المحدثين بـ (قرينة التخصيص) ، وهي قرينة معنوية كبرى تتفرع إلى قرائن معنوية أخص منها أهمها : التعدية ، والغائية ، والظرفية ، وكلُّ نوع من أنواع هذه القرائن تعبر عن جهة خاصة في فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة ، فالظرفية تحدد وقت حدوث الحدث أو مكانه [١٢] ، وبعبارة أخرى فإنَّ: " الجملة في أول

---

٦) ينظر: منتديات اللغة العربية الفصحى ، شبه الجملة ، http://fajjal.yoo7.com/t34-topic

٧) شرح المفصل : ١/ ١٧٤ .

٨) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني(٧٤٩هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٥م : ٢٢٧ .

٩) عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق: د . كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، العراق ، ١٩٨٢م : ١/ ٢٧٥ .

١٠) إعراب الجمل وأشباه الجمل : ٢٧٣ .

١١) شرح التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ) ، شرحه وخرّج شواهده : محمد هاشم دويدري ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م : ٥٨ .

١٢) اللغة العربية، معناها ومبناها – تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م : ١٩٤– ١٩٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مراحل تكونها تكون جملة (مطلقة) تتضمن ركني الإسناد ، المسند والمسند إليه ، وقد تتضمن فضلاً عن الركنين السابقين عناصرَ جديدة تمد في بناء الجملة من خلال معانٍ وظيفية مخصوصة وروابط تركيبية محددة" [١٣] ، فشبه الجملة إذن قرينة تخصيصية تقيد الحدث الذي يدل عليه ما تتعلق به ، فقولنا مثلاً: (جاء زيدٌ) ، هذا القول يدلُّ على مجيء من زيدٍ مطلقٍ، لكن إذا قلنا : (جاء زيدٌ صباحاً) أضفنا قيداً للمجيء، فخصصنا وقته ، ثم إذا قلنا : (جاء زيدٌ صباحاً من البيتِ) أضفنا قيداً ثانياً خصصنا فيه المجيء بابتداء غايته ، ثم إذا قلنا : (جاء زيدٌ صباحاً من البيتِ إلى محلِ عملِهِ) أضفنا قيداً ثالثاً خصصنا فيه المجيء بانتهاء غايته ، وهكذا . . . بإضافة أشباه الجمل يزداد تخصيص الحدث وتقييده [١٤] .

إن وراء التقييد بالجار والمجرور مزايا وأسرار بلاغية ترجع إلى معاني حروف الجر، وإلى ما دخلت عليه تلك الحروف ، فالمزية البلاغية قد تكون راجعة الى الجار والمجرور معاً ، وهو القيد الذي تقيد به الجملة القرآنية ، ويتضح لنا ذلك عند النظر في هذه القيود : (على هدى . . . على وجوههم . . . في رحمة الله . . . في ضلال مبين) فإنا نجد المغزى راجعاً إلى الجار ومدخوله معاً ، وهذا واضح فإن المعنى الناجم عن دخول حرف الجر (على) على لفظ (هدى) ، يختلف عن المعنى الناجم عن دخوله على (وجوههم) لقد دل في الأول على التكريم والتعظيم ، ودل في الثاني على الإهانة والتحقير، حرف الجار واحد وهو (على) وقد اختلف المعنى باختلاف المجرور، وهذا ما نعنيه برجوع المزية إلى الجار ومجروره معاً ، وكذا القول في دخول الحرف (في) على الرحمة ثم على الضلال ، ولو نظرنا في الآيتين الكريمتين كقوله تعالى : (وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً) الإسراء : ٩٧ ، وقوله تعالى : (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) الصافات :٥٩) ، لوجدنا أنه يزداد معنى الإهانة والتحقير بتلك الحال (عمياً وبكماً وصماً) ، التي بينت أنهم لا يبصرون ما تقر به أعينهم ، ولا ينطقون ما يقبل منهم ، ولا يسمعون ما تلذ به مسامعهم ، جزاءً وفاقاً ، فقد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر، ولا ينطقون بالحق ، ولا يستمعون إليه ، وأما الجار والمجرور

---

[١٣]) دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية ، عبد الحميد السيد ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤ م : ٢٥ .

[١٤]) ينظر : النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، ط٤، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) : ٢/ ٤٠٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(عليه وعلى إسحاق) فإنه يدل على استعلاء البركة وإحاطتها بهما تكريماً وتعظيماً ، أن الحرف (على) يدل على الاستعلاء ، ولكنه استعلاء إذلال وإهانة في آية الإسراء ، واستعلاء تعظيم وتكريم في آية الصافات .

وقد تكون المزية راجعة إلى حرف الجر نفسه ، وإيثار التعبير به دون غيره ، لأنه هو الذي يعطي المعنى المراد ، ولنقرأ الآيات الكريمة : (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ/ البقرة- ٢٨٦) و: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى) الأنبياء : ١٠١) و: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ)الصافات- آ: ١٧١) و(حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) هود : ٤٠) و(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سبا :٢٤)، نجد إن (اللام) قد ذكرت عند سبق النفع وكسب الخير، وأن (على) قد ذكرت عند سبق الضر واكتساب الشر، وذلك لأنا نلحظ في (اللام) معنى التملك والانتفاع , ونلحظ في (على) معنى القهر والاستعلاء ، كما استخدمت (على) بدخولها على الهدى في معنى العزة والرفعة ، واستخدمت (في) بدخولها على الضلال في معنى الذل والانحطاط ، وكان المؤمن مستعل على جواد يركضه حيث شاء ، والكافر منغمس في ظلام، حائر فيه ، لا يدري إلى أين يتجه ، وانظر في قوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) الجاثية : ٢٩)، وقف متأملاً هذا القيد (عليكم)، ولماذا أوثر هذا التعبير بـ (على) ؟ ولم يكتف بها فلم يقل : ينطق لكم وعليكم ؟ أرى – والله اعلم – أن مرد ذلك إلى أن الكافر هو الذي يحتاج إلى نطق الكتاب عليه ، إذ هو المؤمن يقرأ كتابه فرحا به . . . ، أما الكافر فإنه يخفى وراء ظهره ، وخذ قوله تعالى : (قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) البقرة: ١٣٦)، وتأمل القيد(إلينا) حيث عبر باللام "[١٥] .

لقد انتبه القدماء إلى أهمية التعلق من خلال تعدد معاني الحروف ، وما يؤدي إلى آثار على صعيد المعنى والاختيار، قال العلوي : " ويختلف ذلك الاتصال باختلاف معانيها ، وتحتها أسرار ولطائف ، فالباء للإلصاق و(في) للوعاء ، ومن لبيان الجنس إلى غير ذلك من المعاني . . ." [١٦] ، وقد يكون هذا التخصيص أهمَّ من الحدث نفسه إذا كان المتلقي عالماً بالحدث عموماً ، نحو قولنا : (سُرِقَ المصرفُ ظهراً أمامَ أنظارِ الناسِ) ، فإذا كان المتلقي عالماً

---

[١٥]) ينظر : من بلاغة النظم القرآني – دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود : ٦٠٠ – ٦١

[١٦]) الطراز: ٢٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسرقة المصرف ، فإنَّ ظرف الزمان (ظهراً) وظرف المكان (أمام) سيكونان أهم من الفعل (سُرِقَ) ؛ إذ يُريد المتكلم أن يُبين غرابة هذه السرقة بتخصيص زمانها ومكانها ؛ ولذا صار شبه الجملة أهمّ من الحدث نفسه[١٧] .

وقد نرى ذلك جلياً في الجار والمجرور الواردين في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يونس : ٢٥)، فهذه الآية وردت في معرض الحجاج مع من يدعو إلى الضلال والغي والفساد ، فبيّن الله تعالى حقيقة دعوته الممتازة عن سائر الدعوات ، فليست البؤرة في كون الله داعياً ، وأن الله تعالى يبين ويوضح للناس رسالاته ، فهذا الأمر مشهور واضح لا يحتاج إلى إثبات ، إلا أن بؤرة النص تكمن في تميز دعوته عن سائر الدعوات ، وهذا التميز يتحقق في الآية بشكلين ، هما النتيجة والثمرة المفيدة من قبول الدعوة ، والمتمثل بدخول المدعوّ القابل للدعوة الإلهية جنة الخلد ودار السلام ، والشيء الآخر استقامة التصرف الإنساني في الحياة الدنيوية نتيجة قبول تلك الدعوة ، والمتمثل بالسير على الصراط المستقيم الذي لا ينحرف عن هدفه الأسمى ، وهو إصلاح أمر الدنيا وصلاح أمر آخرته ، فالمحور الأساسي للنص لا يكمن في أن لله دعوة ، وأنه ينزل الرسالات على الرسل ، وأنه يضع الأطر العامة للقوانين القابلة للاجتهاد بما يناسب أحوال الناس وأوضاعهم، بل يكمن في أن تميز هذه الدعوة عن سائر الدعوات ، بتحقيق صلاح الدنيا وصلاح الآخرة ، والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة ، التي لا تستطيع تلك الدعوات الأخرى تقديمها للإنسان ، وإن حرصت بعضها على تحقيق السعادة الدنيوية فقط ، والذي تكفّل بتحقيق هذين المعنيين هما الجار والمجرور داخل النص ، على الرغم من كونهما فضلتين خارجتين عن حدود الإسناد ، بمعنى أنهما فضلتان من حيث التركيب ، وإن كانا عمدتين من حيث تحديد المعنى الذي سيق الكلام من أجله ، من أجل ذلك توقف ابن هشام الأنصاري(ت ٧٦١هـ) على دور ما سمّي فضلة في بيان جوهر النص وقيمته الحقيقية ، وهو يبين كيف ينبغي أن يفهم مصطلح (الفضلة) عند النحويين ، فليست الفضلة ما لا قيمة معنوية لها ، بل هي التي لا تشكل أركان الإسناد الأصلية ، وإن كانت تمارس دوراً عالي الأهمية في النص وطبيعته ، فقد أورد قول القائل[١٨] :

---

[١٧]) تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة- محمود عبد حمد اللامي ، بإشراف: د. صباح عباس السالم ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة بابل/ قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨م : ٣٤.

[١٨]) البيتان لعدي بن الرعلاء الغساني ، والرعلاء أمه ، ينظر الذخائر والعبقريات- عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن صيد البرقوقي (ت ١٣٦٣هـ) ، مصر، المكتبة الثقافية الدينية : ١/ ٢٧٣ ، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي- أبو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

فقد توقف عند دلالة الحال(كئيبا)، وذكر أن الحال وفق التصنيف النحوي فضلة ؛ إلا أنه يمارس دوراً عظيماً داخل النص ، فلولا ذكره لزم التناقض بين أركان الجملة الأساسية ، وهي قولنا : إنما الميْت من يعيش[١٩] ، وقصد الشاعر عموماً في البيتين بأن الانسان إذا كان كئيباً في الدنيا وهو حي فهو بمثابة الميت ، بخلاف الميت موتاً حقيقياً لكنه مستريح بالنسبة للذات الشعرية. فالظرف والجار والمجرور وإن كانا وفق التصنيف النحوي فضلتين ، لكن لم يرد النحويون الفضلة المعنوية ، بل الفضلة التركيبية ، مع الإدراك العميق لقيمة الفضلات في تحديد دلالة النص وصحته ، وإضافة المعاني التي لم يكن النص ليدل عليها لولا ذكرهما ، بل يقومان بالدور المعنوي الرئيسي داخل النص على الرغم من كونهما عناصر غير رئيسة في التركيب ، وهذا ما نريد التوقف عنده تفصيلاً في هذا البحث، ونبين أهمية مجيء الظرف والجار والمجرور داخل النص القرآني ، ودورهما في تحديد بؤرة النص ، إذ المعنى الذي تفيده الجملة الأساسية من المسند والمسند إليه تكون معلومة مسبقاً ، إلا أن الظرف والجار والمجرور يعطيانها الفكرة الأساسية والقيمة الحقيقية ، على الرغم من كونهما خارج تكوين الجملة الأساسية ، وعموماً فإن المتعلقات لا تقل أهمية بوصفها فضلة عن العمد وفق (نظرية النظم) التي أنجزها عبد القاهر الجرجاني ؛ إذ يعد كل جزء في الكلام مكمل للآخر وضافياً عليه دلالة على مستوى النظم بقوله : " واعلمْ أنَّك إذا رجعتَ إلى نفسِك علمتَ علْماً لا يعترضُه الشكُّ ، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ ،

عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري(ت ٤٨٧هـ) ، تصحيح : عبد العزيز الميمني ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١/ ٨ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- عبد القادر بن عمر البغدادي(ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٤ ، ١٩٩٧م :٥٨٣/٩ ، http://www.imamu.edu.sa/DContent/BOOKS/arabic_ibook65/page_7147.pdf .

[١٩]) شرح قطر الندى وبل الصدى- ابن هشام الأنصاري ، أبو محمد عبد الله(ت ٧٦١هـ)، تحقيق وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١، ١٤١٤هـ : ٣٨٨- ٣٨٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَيُبنى بعضُها على بَعض ، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يخْفَى على أحدٍ منَ الناس " [٢٠] .

ثانياً : البؤرة (focus) فهي : " مركز اهتمام نصي ، وموضوع مركزي فيه"[٢١] ؛ لذا تعد من أهم الركائز التي يستند عليها البحث ؛ لأنه يبحث في الفضلة وتحديداً (الظرف والجار والمجرور) وهما بالنسبة له يمثلان بؤرة المعنى المقصود في الخطاب القرآني وموضوع مركزي فيه بخلاف الدراسات الاخرى التي ركزت في تحليلها على العمد ، ويعد مصطلح (البؤرة) أحد المصطلحات البنيوية في النقد الأدبي الحديث وإن استعماله لا يتعارض مع الخطاب الديني .

ثالثاً : شبه الجملة : إنَّ (شبه الجملة) يُطلق اصطلاحاً على الظرف ، وحرف الجر الأصلي مع المجرور[٢٢] ، وسبب تسمية الظرف والجار والمجرور بـ (شبه جملة) أنَّ شبه الجملة بطرفيها (الجار والمجرور والظرف) ، تأتي بين المفردات والجمل ؛ إذ لا تعد من أحدهما ؛ فهي تتعلق تارة بالفعل(استقر) ، فتدل على جملة ، وتارة بالاسم (مستقر) فتدل على مفرد[٢٣] ، ولا بد من التوقف عند هذين الطرفين المكونين لشبه الجملة ، وهما :

١ – **الجار والمجرور:** أي حرف الجر مع الاسم المجرور، وتسمى حروف الإضافة ، وسبب تسميتها حروف الإضافة يعود إلى أنَّها يضاف بها الأسماء والأفعال أو معانيها إلى ما بعدها أي توصلها إليه وتربطها به[٢٤] ، وسبب تسميتها بحروف الجر يعود إلى أمرين ، الأول : " لأنَّها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء أي توصلها إليها

---

[٢٠]) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م : ١ / ٥٥ .

[٢١]) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية ، د . نعمان بوقرة : ٩٥.

[٢٢]) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك– بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ٢٠٠٢ م : ١/ ١٣٤ ؛ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) تحقيق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٥، ١٣٧٨هـ : ٢/ ٩٩، وإعراب الجمل وأشباه الجمل : ٢٧١ .

[٢٣]) شرح قطر الندى وبل الصدى : ٢٠٦– ٢٠٧ .

[٢٤]) ينظر : المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق : حسن حمد، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٩٩٩م : ٤/ ١٣٦، شرح المفصل– ابن يعيش : ٦/ ٤٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيكون المراد من الجر المعنى المصدري" [٢٥] ، والأمر الآخر: " لأنَّها تعمل الجر فيكون المراد بالجر الإعراب المخصوص كما في قولهم (حروف النصب) و(حروف الجزم)" [٢٦] ، واختلف النحويون في عدد حروف الجر، والمشهور أنَّها (عشرون) حرفاً[٢٧] ، وهذه الحروف منها ما هو أصلي وزائد وشبيه بالزائد ، والمراد بالأصلي ما له متعلق عام أو خاص يتعلق به ومعنى يدلّ عليه ، كقولنا: زيد في الدار، فحرف الجر (في) دال على الظرفية وهو متعلق بفعل عام تقديره (استقر) أو باسم عام تقديره (مستقر)، ولا بدّ أن يكون المتعلَّق به هو ما يدل على الحدث ، وهو الفعل أو ما يشبهه ؛ لذا فإن الظرف أو الجار والمجرور الواقعين بعد المبتدأ ، في نحو: زيدٌ في البيت ، أو زيد أمام البيت ليسا هما الخبر، بل الخبر محذوف تقديره : (كائن أو مستقر، أو كان أو استقر)، إذ لا بد أن يكون الظرف أو الجار والمجرور متعلقين بما يدلّ على الحدث ، ويسمى الظرف حينئذ مستقراً ، وأما المتعلق بخاص فيسمى لغواً، مثل: دخلت في المسجد .

لقد فرّق الكفوي بين اللغو والمستقر بقوله : (وَيشْتَرط فِي الظّرْف المستقر أَن يكون الْمُتَعَلّق متضمناً فِيهِ ، وَأَن يكون مِنَ الْأَفْعَال الْعَامَّة ، وَأَن يكون مُقَدراً غير مَذْكُور، وَإِذا لم تُوجد هَذِه الشُّرُوط فالظرف لَغْو، قَالَ بَعضهم : مَا لَهُ حَظّ من الْإِعْرَاب ، وَلَا يتم الْكَلَام بِدُونِهِ ، بل هُوَ جُزْء الْكَلَام فَهُوَ مُسْتَقر، وَلَيْسَ اللَّغْو كَذَلِك لِأَنَّهُ مُتَعَلق بعامله الْمَذْكُور، وَالْإِعْرَاب لذَلِك الْعَامِل ، وَيتم الْكَلَام بِدُونِهِ ، وَحق اللَّغْو التَّأْخِير لكَونه فضلَة ، وَحق المستقر التَّقْدِيم لكَونه عُمْدَة ومحتاجا إِلَيْهِ"[٢٨]، ونحن نلاحظ أنهم أطلقوا على الجار والمجرور تسمية الظرف ، ولم يقصدوا الزمان والمكان ، بل أرادوا شرح طبيعة التعلق ، التي يستلزمها الجار والمجرور بالعامل ، سواء كان مذكوراً أم محذوفاً، ذاك أن الجار لا يفهم معناه ولا يتحقق وجوده من دون متعلق (العامل والمجرور) يرتبطان به ، ويعمل على تعيينه وتحديده ، فالحرف مفتقر إلى المتعلق افتقار وجود وتحقق لمعناه ، ويمارس الحرف بعد تعينه وتحققه بالمتعلق دوراً في تحديد دلالة الفعل وطبيعة علاقاته بأجزاء التركيب كله ، وأما الحرف الزائد فليس له معنى يدل عليه سوى التأكيد ولا متعلق يتعلق به

[٢٥]) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، تحقيق : محمود عبد الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م: ٢/ ٣٠٢.

[٢٦]) م . ن: ٢/ ٣٠٢.

[٢٧]) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣/ ٣.

[٢٨]) الكليات : ١/ ٥٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عاماً أو خاصاً، وكذا الشبيه بالزائد ليس له متعلق وإن كان له معنى كالتقليل والتكثير في (ربّ)، والترجي في (لعلّ).

٢ – الظرف :

الظرف في اللغة يأتي بمعنى الوعاء[٢٩] ، وأما في الاصطلاح فقد عُرِّف تعريفات مختلفة من ذلك ما يُفهم من قول سيبويه : "هذا باب ما ينتصب من الأماكن والوقت ، وذلك لأنَّها ظروف تقع فيها الأشياء وتكون فيها ، فتنصب لأنَّه موقوعٌ فيها وتكون فيها وعمل فيها ما قبلها ... وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها"[٣٠] ، ويتضح هذا التعريف عند ابن يعيش (ت٦٤٣ هـ) إذ قال : "ما كان منتصباً على تقدير (في) واعتباره بجواز ظهورها معه فتقول : قمتُ اليومَ ، وقمتُ في اليومِ ، فـ (في) مرادة وإن لم تذكرها"[٣١]، وعرَّفه ابن مالك(ت٦٧٢هـ) بقوله : "هو ما ضمن من اسم وقت أو مكان معنى (في) باطراد ولواقعٍ فيه مذكور أو مقدر ناصب له"[٣٢] ، والتعريف الأوضح والأشهر عند النحويين هو أنَّه : اسم زمان أو اسم مكان منصوب ضمّن معنى (في) الظرفية من دون لفظها باطراد ، أو اسم عُرِضت دلالته على أحدهما أو اسم جار مجراه[٣٣] .

وقد قسّم النحويون الظرف إلى قسمين هما : ظرف الزمان وظرف المكان ،" والظرف بنوعيه لا يستقل بنفسه في إحداث معنى جديد ، لأنه وعاء – كالوعاء الحسي– لا بد له من مظروف ، " أي : من شيء يقع فيه ". وهذا المظروف هو ما يسمى : "المتعلق" عند النحاة وهو الذي لا بد أن يقع في الظرف ، وإلا فسد المعنى بغيره تماماً ، وما يقال في الظرف يقال في الجار الأصلي

---

[٢٩]) لسان العرب– ابن منظور: ٩/ ٢٢٩.

[٣٠]) الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م : ١/ ٤٠٣.

[٣١]) شرح المفصل : ٢/ ٣٤٢.

[٣٢]) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠١ م : ٢/ ١٢٩.

[٣٣]) شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك ، خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ) ، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العلمي الحمصي ، ط١، المطبعة الأزهرية المصرية ، ١٣١٣ه : ١/ ٣٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع المجرور أيضاً ، إذ لا فائدة منهما إلا بمتعلقهما [٣٤] وقسّموا ظرف الزمان إلى موقت ومختصّ ومبهم ، وذكروا أن الفعل يتعدى إليها جميعها ، وينصبها من دون توقف يقول عبد القاهر الجرجاني معللاً ذلك: " وبعد فإنَّ ظروف الزمان لما شاكلت المصادر في أنَّ صيغة الفعل تدلُّ عليها ، فإذا قلت : (ضرب) دلَّ صيغته على زمان ماض كما يدل على المصدر الذي هو الضرب ، وإذا قلت: (يضرب)، دلَّ على زمان حاضر أو مستقبل ، جرت مجرى المصادر في تعدي الفعل إلى جميع أنواعها نكرتها ومعرفتها وموقتها ومبهمها "[٣٥] ، وذكروا أمثلة لظرف الزمان المبهم مثل : حيث وحين ومدة ووقت، مما دلّ على زمن غير معين[٣٦] ، وأما ظرف الزمان المختص أو الموقت والمحدد فهو ما دلّ على زمان مخصوص ، مثل : اليوم والليلة ويوم الجمعة وشهر رمضان ، أي أن المختص يدلّ على زمان محصور ببداية ونهاية ، أما ظرف المكان فـ" لم يكن لفظُ الفعل دالاً على شيءٍ منه ، بل دلالته عليه عقلية لا لفظية ؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ لا بد له من مكان"[٣٧] ، ولما كان كذلك لم تتعدَّ الأفعال إلى جميع أنواع الأمكنة وإنَّما تعدت إلى مجموعة من الظروف ، هي: ظرف المكان المبهم : ويُراد به ما ليس له أقطار تحصره ولا نهايات تُحيط به[٣٨] ، ويشمل هذا النوع الجهات الست وهي : أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال ، وشبهها في الشياع كـ: ناحية وجانب و مكان[٣٩] ، وزيد عليها : عند و لدى و وسط و بين[٤٠] ، وأما المختص من

---

[٣٤]) النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط ١٥ ، د . ت : ١ / ٤٧٨ .

[٣٥]) المقتصد في شرح الإيضاح : ٢/ ٦٣٢.

[٣٦]) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٨ م: ٢/ ١٠٣ .

[٣٧]) شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذين (ت٦٨٦هـ) ، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه د. أميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٨ م: ٢/ ١٤ .

[٣٨]) حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢/ ١٨٩ .

[٣٩]) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري ، المصري، (ت٧٦١هـ)، تحقيق : د. محمود مصطفى حلاوي ود. أحمد سليم الحمصي، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨ م: ٢/ ٢٤٨ .

[٤٠]) شرح كافية ابن الحاجب : ٢/ ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ظروف المكان : " فهو ما له أقطارٌ تحصرهُ ونهايات تُحيط به " [٤١] ، كـ: المسجد، والدار والسوق والحانوت ، فلمَّا لم يكن فيها التنقل الذي يكون للجهات الست وكانت محصورة مختصة بصورٍ وخُلُقٍ تفرّق بين بعضها وبعض لم يتعدَّ إليها الفعل الذي لا يتعدى فلم نَقُل : قعدتُ المسجدَ ولا أقمتُ بغدادَ ووجب الاتيان بحرف الجر نحو قولنا : قعدتُ في المسجدِ[٤٢] ، واختلفوا في اسم المكان الدال على المقدار كالميل والغلوة ، فبعضهم جعله من قبيل المختص ، وآخرون على أنه من الظروف المبهمة ، وأما أسماء المكان المشتقة من ألفاظ أفعالها بشرط الاتحاد في المادة مع عاملها، مثل : ذهبت مذهب زيد ، فقد نصبوها على الظرفية المكانية ، كما قسّموا الظروف الزمانية والمكانية بحسب التصرّف وعدمه إلى قسمين ، هما : الظرف المتصرّف ، وهو الذي : " يفارق الظرفية إلى حالةٍ لا تشبهها ، كأن يستعمل مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه " [٤٣] ، تقول: " سرتُ يومَ الجمعةِ ، وجلستُ مكانَك ، فهما ظرفان ، وتقول: اليومُ مباركٌ ، ومكانُك طاهرٌ، وأعجبني اليومُ ومكانُك ، وشهدتُ يومَ الجمعةِ وأحببتُ مكانَ زيدٍ ، فهما في ذلك غير ظرفين لوقوع كلٍّ منهما في الأول مبتدأ وفي الثاني فاعلاً وفي الثالث مفعولاً به ..." [٤٤] ، وأما الظرف غير المتصرف فـ" هو الملازم للظرفية"[٤٥]، أي لا يُفارقها فيقع مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً ... وهو على نوعين: ما لا يُفارق الظرفية أصلاً كـ(قطُّ وعَوْضُ) نقول : (ما فعلتُه قطُّ)، و (لا أفعله قطُّ) [٤٦] ، وما لا يخرج عنها إلا بدخول حرف الجر (من) عليه نحو (قبلُ) و(بعدُ) و (لدن) و(عند) فيحكم عليها بعدم التصرف، نقول: (جئتُ قبلَك ومن قبلِكَ وبعدَكَ ومن بعدِكَ) و(هو لدن زيد وعنده) و(هو من لدن زيد ومن عنده) .

---

[٤١]) شرح جمل الزجاجي ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : فوّاز الشعّار، إشراف د. إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٨ م: ١/ ٣٠٧.

[٤٢]) المقتصد في شرح الإيضاح : ٢/ ٦٤٣.

[٤٣]) أوضح المسالك : ٢/ ٢٤٩.

[٤٤]) حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٢/ ١٩٣.

[٤٥]) م. ن: ٢/ ١٩٣.

[٤٦]) أوضح المسالك: ٢/ ٢٥٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي

بعد أن انتهينا من بيان حقيقة المتعلق عند النحويين والبلاغيين ، وأنواع المتعلقات وأشكالها ، ومن بينها الظرف والجار والمجرور، وبيان دورهما في الجملة العربية ومهامهما الخطيرة في تحديد المعنى وتقييده وتخصيصه ، وأثرهما في تبيين بؤرة النص ، التي سيقت الجملة وذكرت من أجلهما ، نتوقف عند نماذج تطبيقية من القرآن الكريم تلمّسنا فيها الدور المحوري للظرف والجار والمجرور في الجملة القرآنية ، التي سيقت لأهداف مهمة أيضاً ، لكن كان اللاعب الأكبر فيها هو المتعلق الذي يحدد المعنى المفصلي للنص القرآني ، وسنتناول هذا الجانب وفق نوعي شبه الجملة ، وهما :

١ – الجار والمجرور :

من ذلك **قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات : ١٣)** ، فلو تساءلنا عن بؤرة النص في هذه الآية لوجدناها في آخر الآية ، وهي الحقيقة التي يريد الله تعالى غرسها ، في أن التمايز الحقيقي عند الله تعالى بين الناس لا يتم على أساس الجنس (الذكر والأنثى) ، ولا يتم على أساس الأعراق والدماء (الشعوب والقبائل) ، بل التمايز الحقيقي ، والتفضيل المعتبر عنده يتحدّد من خلال (التقوى) لله تعالى ، ولكن هذه البؤرة لكي تتشكل وتتوضح كان لا بدّ من ذكر متعلقين يتمثل أحدهما بالجار والمجرور (من ذكر وأنثى) ، والآخر بالمفعول به والمعطوف عليه (شعوباً وقبائل)، لأن تحديد الامتياز عنده تعالى بالتقوى لا يمكن الوصول إليه من دون ذكر أسس تمايز أخرى تعارف البشر عليها واعتادوها ، فهناك من يفضّل على أساس الجنس ، وآخرون يفضلون باعتبار العرق والوجاهة والحسب والنسب للشعب والقبيلة ، فبؤرة النص المتمثلة ببيان أن التقوى هي عمدة التمايز وأساس التفضيل عنده تعالى ، لا يمكن الوصول إليها من دون ذكر أسس التمايز عند البشر من خلال تصوراتهم الخاطئة لأسس التمايز الصحيحة ، فالله تعالى يريد أن يضع أسس التمايز والامتياز البشريين مقابل أسس التمايز والامتياز الإلهي ، لتتوضح الصورة الصحيحة الجلية من خلال هذه المقابلة ، إذ لا دخل للإنسان في تحديد جنسه ولونه وشعبه وقبيلته ، وله كل المدخلية في تحديد تقواه وعمله الصالح لبني جنسه وأمام خالقه ، فالتمايز الحقيقي يكون فيما للإنسان في صنعه مدخلية وتأثير، ولم يكن ممكناً الوصول إلى هذه المقابلة التمييزية والامتيازية من دون ذكر المتعلقين (الجار والمجرور

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمفعول به) ، فبؤرة النص تتمثل في بيان التصور البشري الخاطيء في تحديد الامتياز والتميز، والقانون الإلهي الذي يريد وضعه معياراً تتم من خلاله عناصر الامتياز والتميز الصحيحة ، كما يدلّ عليه الظرف الوارد في بؤرة النص (عند الله)، بمعنى أن المتقي سوف يقوم بمهام العدل وإحقاق الحق المؤديين للسعادة البشرية.

ومن تلك النماذج التي يمارس فيها الجار والمجرور دور البؤرة المركزية في النص في سياق بيان ادعاء منكر للكفار وعقيدة فاسدة يطالعنا **قوله تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) الإسراء : ٥٦)**، وعند معاينة الخطاب القرآني في قوله تعالى نجد الجار والمجرور في قوله : (من دونه) فالأداة (من) حرف جر والأداة (دون) اسم مجرور والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة وهي في أصل استعمالها ظرفية [٤٧] جاءت هاهنا شبه جملة جار ومجرور وهي من متعلقات الفعل (ادعوا) ولفظ (زعم)" قِيلَ: هُوَ الْقَوْلُ يَكُونُ حَقًّا وَيَكُونُ بَاطِلًا "[٤٨]، ونجد بأن زعمهم هنا قد جاء باطلاً وتتجسد الأهمية البلاغية للجار والمجرور (من دونه) بوصفه بؤرة الحدث ومحط الإشكالية التي أراد الخطاب القرآني معالجتها على مستوى البناء الدلالي واللغوي (القصدي) ؛ لأن الخطاب موجه إلى أناس يصدقون بوجود الخالق – سبحانه وتعالى – إلا أنهم يشركون معه معبودات أخرى ، فلولا وجود متعلق الفعل وهو الجار والمجرور لما تحقق القصد ؛ فلو جاء الخطاب بتعبير آخر يخلو من متعلق الفعل لانتفى القصد ، والتعبير المفترض : قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا، فلو كان كذلك لما أثر ذلك في المعنى فهم يعبدونهم فقط ؛ ولكن الإشكالية في أنهم يؤمنون بوجود الله ويشركون معه هؤلاء فلا يستعينون بخالقهم مباشرة وإنما يتقربون إليه بمعبودات أخرى هي دونه قيل : يحتمل الملائكة ، وقيل عيسى ابن مريم وقيل نفر من الجن [٤٩]؛ لذا أصبح المتعلق بمثابة بؤرة نصية مؤثرة في التوجيه البلاغي للخطاب عموماً ، فقد فصل لنا عقيدة هؤلاء القوم ، ورد عليهم دعوتهم في قوله تعالى : (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) . وتتضافر مع خطاب المتعلقات خطابات أخرى منها خطاب النفي في قوله تعالى : (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) فقد "جَاءَتِ الْمُنَاسَبَةُ لِرَدِّ مَقَالَةٍ أُخْرَى مِنْ مَقَالَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَهِيَ اعْتِذَارُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ بِأَنَّهُمْ مَا يَعْبُدُونَهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَجَعَلُوهُمْ عِبَادًا مُقَرَّبِينَ وَوَسَائِلَ

[٤٧] ينظر : معاني النحو ، د . فاضل صالح السامرائي : ٢ / ١٨٤ – ١٨٦ .

[٤٨] لسان العرب ، ابن منظور : ١٢ / ٢٦٤ ، مادة (زعم) .

[٤٩] ينظر : تفسير الكشاف ، الزمخشري : ٦٠٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَلَمَّا جَرَى ذِكْرُ الْمُقَرَّبِينَ حَقًّا انْتُهِزَتْ مُنَاسَبَةُ ذِكْرِهِمْ لِتَكُونَ مَخْلَصًا إِلَى إِبْطَالِ مَا ادَّعَوْهُ مِنْ وَسِيلَةِ أَصْنَامِهِمْ عَلَى عَادَةِ إِرْشَادِ الْقُرْآنِ "[٥٠]" فَبَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ أَنْ يَكُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ بِبُرْهَانِ الْعَقْلِ عَادَ إِلَى إِبْطَالِ إِلَهِيَّتِهِمُ الْمَزْعُومَةِ بِبُرْهَانِ الْحِسِّ. وَهُوَ مُشَاهَدَةُ أَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهُمْ كَشْفَ الضُّرِّ . . . فَبِمُنَاسَبَةِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِابْتِهَالِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ ذَكَرَ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ دُعَاءِ الْمُشْرِكِينَ آلِهَتَهُمْ. وَقَدَّمَ ذَلِكَ، عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي أَثَارَ الْمُنَاسَبَةَ، اهْتِمَامًا بِإِبْطَالِ فِعْلِهِمْ لِيَكُونَ إِبْطَالُهُ كَالْغَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونَ ذِكْرُ مُقَابِلِهِ كَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ"[٥١] ؛ لأن كَمَالُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْلُومٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَكَمَالُ قُدْرَةِ المعبودين من دون الله غَيْرُ مَعْلُومٍ وَلَا مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ، بَلِ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّ قُدْرَتَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى مِنَ الِاشْتِغَالِ بِعِبَادَةِ أُولَئِكَ[٥٢] ، وقد نفى الخطاب بعد ذلك بالدليل القاطع بأسلوب النفي في قوله : (لا يملكون) قدرة هؤلاء على كشف الضر ولا تحويله من إنسان إلى آخر . وقد خاطب القرآن الكريم الكفار من خلال البدء بفعل الأمر (قل) أي : يا محمد لهؤلاء الكفار إلى آخر الآية وخطابهم خطاب حضور في قوله تعالى : (الذين زعمتم) بضمير الجمع ليدل على الرغبة في توبيخهم وتقريعهم من فعل الشرك بالله – سبحانه وتعالى .

ومن نماذج الجار والمجرور التي يتحدد فيها دور البؤرة و ارتكاز النص **قوله تعالى: (قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً) الكهف : ٩٥)** ، فقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة ذي القرنين وَكَانَ مِنْ خَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ أُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتَ غَيْرُهُ، فَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْبِلَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، لَا يَطَأُ أَرْضًا إِلَّا سُلِّطَ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مَا ليس وراءه شيء مِنَ الْخَلْقِ وقد آوتي من كل شيء سبباً قَالَ ابْنُ عباس: من كل شيء عِلْمًا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى مَا يُرِيدُ. وقيل: من كل شيء يَسْتَعِينُ بِهِ الْمُلُوكُ مِنْ فَتْحِ الْمَدَائِنِ وَقَهْرِ الْأَعْدَاءِ [٥٣] فانتهى إلى قوم يعانون العذاب من (يأجوج ومأجوج) وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح ، وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل. وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف. وقيل عربيان . . . مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أي في أرض أولئك القوم بالقتل والتخريب وإتلاف الزرع. وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ، وقيل كانوا

---

[٥٠] التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٥ / ١٣٨.

[٥١] ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٣٥٧.

[٥٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٥ / ١٣٩.

[٥٣] الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يأكلون الناس[٥٤] فطلب القوم النصرة من ذي القرنين فأرادوا إعطاؤه المال على أن يخلصهم من هذا العذاب قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك، خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي"[٥٥]، أي بفَعَلة وصُنّاع يُحسنون البناء والعمل وبآلات لابد منها في البناء والفاءُ لتفريع الأمر بالإعانة على خيرية ما مكّنه الله تعالى فيه من مالهم أو على عدم قَبولِ خَرْجهم " [٥٦]، ونجد الجار والمجرور موطن الدراسة في قوله تعالى : (بِقُوَّةٍ) فالباء حرف الجر ولفظ (قوة) اسم مجرور وهو متعلق بالفعل (أعينوني) فعل الأمر، ولا يمكن للخطاب القرآني التخلي عن هذا المتعلق ؛ لأنه دليل المشاركة البدنية لا العينية لهؤلاء القوم مع ذي القرنين فقد مكنه ربه التمكين المادي إلا أنه احتاج إلى التمويل البشري وقد عبر الخطاب القرآني عن رد ذي القرنين للقوم بقوله : (قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) وتحديدا استعمال لفظ (ربي) دون الألفاظ الأخرى الخاصة بالله – سبحانه وتعالى – وذلك لأن لفظ الربوبية فيه دلالة الرعاية والعناية، مقترنا بصيغة افعل التفضيل في قوله : (خير) فالإعانة جاءت هنا بمعنى بقوة من عندكم، بعمال وأدوات حربية مانعة لمن يغير عليكم من (يأجوج ومأجوج)[٥٧]، والردم هو: " سد الثلمة بالحجر"[٥٨]، وعند الرجوع إلى دلالة حرف الجر (الباء) نجده يدل وفق المعطيات السياقية للخطاب القرآني على الاستعانة؛ فقد أراد ذو القرنين الاستعانة بالقوم، فلولا البنية النصية للجار والمجرور في قوله تعالى : (...بِقُوَّةٍ)التي تمثل بؤرة الخطاب لما تحقق القصد ؛ فالتعبير الخطابي المفترض قوله : فأعينوني اجعل بينكم وبينهم ردما، مثلا يغاير على المستوى البنائي والدلالي الخطاب الإلهي الواقع في قوله تعالى: (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً) فقد تم تحديد القصد من خلال بنية الجار والمجرور؛ ففي التعبير المفترض لا نجد تحديدا لماهية الإعانة فهي مطلقة في حين نجد إن الخطاب القرآني قد ركز بؤرة القصد وقيد فعل الإعانة بقوله: (بقوة) وهذا يؤثر في عملية تماسك الخطاب وانسجامه لايصال المقاصد بدوره يدل على قوة التعبير القرآني العجز الذي يرسم بالكلمات المعنى والدلالات.

ومن نماذج الجار والمجرور **قوله تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ/ الأنبياء- :٣٧)**، وقوله تعالى : خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ ، توطئة للرد عليهم في استعجالهم

---

٥٤) ينظر تفسير البيضاوي: ٣ / ٢٩٣.

٥٥) المحرر الوجيز ، ابن عطية : ٣ / ٥٤٢ .

٥٦) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٦ / ٣٤ .

٥٧) م . ن : ١٦ / ٣٤ .

٥٨) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٢٠٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العذاب وطلبهم آية مقترحة وهي مقرونة بعذاب مجهز إن كفروا بعد ذلك ، ووصف تعالى الإنسان الذي هو اسم الجنس بأنه «خلق من عجل» وهذا على جهة المبالغة . . . وقيل لهم على جهة الوعيد إن الآيات ستأتي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ"[٥٩] ، لا شك أن ما عليه النظم الكريم هو الأبلغ فيما قصد إليه من المبالغة في وصف الإنسان بالعجلة لإحراز ما يظنه ، ولو تريث لعلم أن الخير فيما يختاره الله لا فيما يختاره لنفسه"[٦٠] .

ومن النماذج التي يؤدي الجار والمجرور فيها دوراً محورياً داخل النص ، ما ورد من قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: **(إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) يوسف : ٨)** ، فالمشكلة الأساسية التي يعاني منها إخوة يوسف تكمن في كثرة تعلق الأب يعقوب بابنه يوسف أكثر من إخوته، فليست المشكلة في تعلق الناس بيوسف أو تعلق أحد الإخوة به ، والذي يكشف عن المشكلة الأساسية داخل النص هو الجار والمجرور (إلى أبينا) ، حيث يتمثل هناك موضع الألم والمرارة التي يعاني منها الإخوة من الشعور بالغبن وعدم العدالة ، ولذا جرى تقديم الجار والمجرور على المتعلق (منا) بـ(أحب)، فقد تم الفصل بين اسم التفضيل ومتعلقه بالجار والمجرور الذي يحدد بؤرة الحدث للقصة كلها، بدليل ما تفرّع عليها من نسبة الضلال إلى الأب ، وطرح أحد الحلول المتمثلة بقتل يوسف أو طرحه أرضا من أجل الغاية الأساسية هي الانفراد بحب أبيهم لهم، فالأب عنصر مشترك بين يوسف وإخوته ، إلا أن هذا العنصر المشترك لم يوزّع حبه في ظنهم بالتساوي ، وشكّل يوسف بوجوده العقبة التي تحول بينهم وبين أبيهم، ومن دون ذكر الجار والمجرور (إلى أبينا) لم يكن للنص أن يتشكّل ولا للقصة أن تقع ، ولا للأحداث أن تتوالى، فالجار والمجرور هنا هو الذي يقوم بتحديد البؤرة الحقيقية للنزاع برمته ، كما قام الجار والمجرور(بالإفك) في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور : ١١) ، بالدور الرئيسي للسورة المباركة ولتحديد العلاقات بين مضامين السورة برمتها ، إذ نلاحظ أن سورة النور نزلت لتحدد ضوابط اليقين والظن في العلاقات المحرمة ، وكلها تدور من أجل تفنيد إدعاء الإفك المنسوب من قبل المنافقين إلى السيدة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، فالجار والمجرور وإن كان فضلة في السياق والتركيب والنص ، إلا أن النص

---

[٥٩]) المحرر الوجيز : ٤ / ٨١ – ٨٢ .

[٦٠]) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، د. محمد الأمين الخضري : ٣٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كله والتراكيب المتعلقة به بشكل مباشر كانت تدور حوله وتحوم حول حماه، فلو لم يكن هناك أناس آتين بالإفك لما كانت هناك تلك المواعظ المحكمة، والتهديدات القاسية، والأساليب المنبهة لفضاعة الظن وخطورته في المجتمع .

ويتضح أثر الجار والمجرور في تحديد بؤرة النص القرآني بشكل ظاهر من خلال قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج : ١١) ، حيث يمارس (على حرف) الدور المحوري البارز في النص ، فقوله تعالى :(من الناس من يعبد الله) جملة معروفة وبديهية لا تناقش ، ولكن كون هذه العبادة مقيدة بأنها على طرف من الدين ، ثم فرّع عليه حال هذا الشخص المتزعزع العقيدة ، الضعيف الإيمان بأنه إن أصابه نفع من الدين كان مع الدين ، وإن أصابته ضراء من تمسكه بالدين ارتدّ عن معتقده وباع دينه بدنياه ، فكل هذا النص قائم على أثر الجار والمجرور(على حرف) في تحديد فكرة النص الأصلية ، التي سيق الكلام كله من أجلها .

ونختتم هذه النماذج **بقوله تعالى: (قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) يوسف : ٢٦)** ، مركزين النظر على الجار والمجرور (من أهلها) ، فإن جملة (شهد شاهد) أمر طبيعي عند التخاصم ، لكن الذي يحدد بؤرة الحدث وقيمة الشهادة وعلو درجتها ومدى موضوعيتها هو الجار والمجرور، يقول الرازي : " وَإِنَّمَا قَالَ مِنْ أَهْلِهَا لِيَكُونَ أَوْلَى بِالْقَبُولِ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنْ حَالِ مَنْ يَكُونُ مِنْ أَقْرِبَاءِ الْمَرْأَةِ وَمِنْ أَهْلِهَا أَنْ لَا يَقْصِدَهَا بِالسُّوءِ وَالْإِضْرَارِ" [٦١] ، فلو كان مجرد شاهد غريب لم يأت بالجار والمجرور؛ ولذا قال الزمخشري : " إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها، لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه"[٦٢] ، فالذي أضفى قوة على عنصر الشهادة حيث أعطى للشهادة مبررات وجودها في النص كونه من أهلها ، فلو لم يكن الشاهد من أهلها لما تمّ التركيز على عنصر الشهادة داخل القصة .

٢ – الظرف :

ومن النصوص التي يختزل الظرف آفاق الخطاب وآماده البعيدة العالية ، ما نجده من **قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ**

---

[٦١]) مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٤٦.

[٦٢]) تفسير الكشاف: ٢/ ٤٥٩.

يُنصَرُونَ) البقرة : ٤٨) ، حيث تكمن بؤرة النص في الظرف(يوماً)، فالأمر بالتقوى جاء وسيق من أجله ، وكون النفس عاجزة عن حماية غيرها ، ولا تستطيع أن تقدّم الشفاعة لمن شاءت ، ولا يقبل منها ما يعادل ثمن الجريرة المرتكبة ، وليس هناك من ناصر يدفع عنها ما سيحل بها ، فكل هذه التراكيب تشكّلت من أجل الظرف(يوماً)، ولعب الدور المحوري داخل النص كله ، لأنه يمثل النقطة التي تولّد التركيب من أجل الإفصاح عنها ، فذلك اليوم وما يلاقيه الإنسان فيه من نتائج عادلة عن أعماله التي ارتكبها في دنياه ، ينبغي أن يوجّه له كل الاهتمام ، والشعور بجدية ذلك المصير وحتميته ، ومن ثم انبثق الأمر بالتقوى ، وذكر خصائص ذلك اليوم من عدم القدرة على حماية غيره فضلاً عن حماية نفسه ، إن الظرف وإن كان عنصراً غير أساسي في التركيب ؛ لأنه ليس أحد ركني الإسناد ، إلا أنه من الناحية الدلالية الحجر الأساسي الذي سيقت الجمل الإسنادية الأساسية من أجله ، وعملت جاهدة من أجل التذكير بأهميته ، وشرح خواصه وصفاته ، التي يمتاز بها عن سائر الأيام .

ومن نماذج الظرف **قوله تعالى: (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم :٦٢)** في سياق الحديث عن نعيم أهل الجنة نجد الظرف في قوله – تبارك وتعالى: (بكرة وعشياً) واللفظان ظرفان للزمان ، وَالْبُكْرَةُ تعني النِّصْفُ الأول من النَّهَار، وَالْعَشِيُّ يعني النِّصْفُ الْأَخِيرُ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا كِنَايَةٌ عَنِ اسْتِغْرَاقِ الزَّمَنِ، أَيْ لَهُمْ رِزْقُهُمْ غَيْرُ مَحْصُورٍ وَلَا مُقَدَّرٍ بَلْ كُلَّمَا شَاءُوا فَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرِ اللَّيْلَ[٦٣] ، وَاللَّغْوُ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَبِيلُهُ أَنْ يُلْغَى وَيُطْرَحَ وَهُوَ الْمُنْكَرُ مِنَ الْقَوْلِ وأما بالنسبة للسلام فَإِنَّ ذَلِكَ السَّلَامَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَلَامِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ مِنْ تَسْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مِنْ تَسْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَتْ مِنْ عَادَةِ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فِي الْيَمَنِ وَلَا شَيْءَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى الْعَرَبِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ فَوَعَدَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ[٦٤] ، وَجِيءَ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثَبَاتِ ذَلِكَ وَدَوَامِهِ، فَيُفِيدُ التَّكَرُّرَ الْمُسْتَمِرَ وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ التَّكَرُّرِ الْمُفَادِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَأَكْثَرَ. وَتَقْدِيمُ الظَّرْفِ لِلِاهْتِمَامِ بِشَأْنِهِمْ، وَإِضَافَةُ رزق إِلَى ضميرهم لِزِيَادَةِ الِاخْتِصَاصِ ، وعند التأمل في الغاية من مجيء الظرف في قوله: (بكرة وعشياً) نجد بأن الغاية جليلة وعظيمة فلو أن الخطاب جاء بهذا التعبير بعزل الظرف كقولنا مثلاً: ولهم رزقهم فيها . لما تحقق القصد الجليل الذي أراده الله – تبارك وتعالى – فإن التعبير المفترض منقوص لأنه يحجم الرزق ويجعله يتراوح أما في البكرة ، وأما في العشية في حين نجد أن التعبير القرآني يستوعب

---

[٦٣]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٧ .

[٦٤]) ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٥٥٣ .

الظرف الكوني كلياً فجزاء الله – عز وجل – وعطاؤه مطلق بهذا التقييد الظرفي ويقال : بان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء[٦٥]، وفي ذلك ترغيب للعابد ووعد له من خالقه بالجزاء المبارك والرزق الوفير والسلام الطيب.

وقد يتضح ذلك عند قراءتنا **قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ) الأعراف : ٩٧– ٩٨)** ، فقد مارس الظرف والجملة الحالية وكلاهما من المتعلقات الفعلية دوراً مركزياً داخل النص القرآني ، حيث قاما بتحديد بؤرة النص الذي سيق الكلام من أجله ، فإتيان العذاب للقوم الذين يجحدون ويكذّبون بالآيات أمر طبيعي ؛ لترتب السبب على المسبب بداهة ، لكن تحديد وقت العذاب بالليل أو بالضحى ، هو الذي حرص النص القرآني على إظهاره ، أي أن وقوع العذاب لا يتحدد في ظرف دون ظرف ، بل يمكن حدوثه ووقوعه في أي وقت شاء الله تعالى إيقاعه ، ووقت الليل والضحى وقتان محيطان بسائر الأوقات ، فيراد منهما تعميم الأوقات ، كما نفهم من قوله تعالى : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) مريم : ٦٢) ، فليس الرزق حاصلاً في وقتين محددين لا غير، بل المراد التعميم والشمول لجميع الأوقات[٦٦]، يقول ابن عاشور: " والجمع بينهما كناية عن استغراق الزمن ، أي لهم رزقهم غير محصور ولا مقدّر، بل كلما شاءوا فلذلك لم يذكر الليل"[٦٧] ، فمجيء الظرف في النصين يدلّ على الاستمرار، وهذه الدلالة هي التي سيق الكلام من أجلها ، فليست الغاية من النصين وقوع العذاب ، أو حصول الرزق للمتنعمين بالجنة ، وإنما كانت بؤرة النص التي سيق الكلام من أجلها هي الدلالة على الاستمرارية للنعيم ، وإمكانية وقوع العذاب في كل وقت وحين ، وهذا هو الهدف المحوري الذي جاء النص من أجله ، ولعب هذا الدور الظرف في النصين ، على الرغم من كونه فضلة خارجة عن ركني الإسناد ، وبالانتقال إلى الجملتين الحاليتين الفضلتين (وهم يلعبون، وهم نائمون)، نجد دورهما المؤازر لبؤرة النص الدالة على الاستمرارية وإمكانية الوقع في جميع الأوقات من دون تخصيص وتحديد، فاللعب يكون بالنهار، والنوم يكون بالليل غالبا، فالاستغراق الزماني الذي جاء الظرف للدلالة عليه أعانته الجملة الحالية ووضّحته خير توضيح، ويمكن تلمّس ذلك في قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ

---

[٦٥]) ينظر : الكشاف : ٦٤١ .

[٦٦]) حاشية الشهاب الخفاجي (عناية القاضي) على تفسير البيضاوي ، بيروت، دار صادر: ٦/ ١٧٠ .

[٦٧]) التحرير والتنوير : ١٦/ ١٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمُجْرِمُونَ) يونس: ٥٠)، الدال على إمكانية الحصول في أي وقت تقتضيه الحكمة والإرادة .

ومن أمثلة الظرف الذي يكون ذكر ما قبله من أجله ، فهو العنصر الأساسي داخل التركيب **قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) الأعراف : ١٣١)**، فإننا نلاحظ أن موسى قد ذكر باسمه المعين له ، لأنه اسم علَم دال على معين، في حين ذكر أتباعه بلفظ (الاسم الموصول) المبهم ، وهنا نتساءل عن سر ذكر أتباع موسى، فإنهم لم يشخّصوا بالأعلام الدالة عليهم ، مما يدل على عدم الأهمية في ذكرهم، وإنما ذكروا في النص لأجل المعية الظرفية ، أي أن التطير بأصحاب موسى ليس لذواتهم كما كان الأمر بالنسبة لموسى ، وإنما لأنهم كانوا معه وتابعوه في آرائه ومواقفه ، فقد لاحظنا وفق هذا التحليل أن ذكر الظرف (معه) قد أدى دوراً مركزياً في فهم النص وتوضيحه، فإن شؤمهم على موسى وأتباعه ما كان ليوجد لولا الدين الذي جاء به موسى وآمن به أتباعه، والذي وضح هذه الإرادة ذكر الأتباع مع الظرف (مع) الدال على المتابعة في الدين والإيمان بما جاء به.

الخاتمة

بعد أن كمل هذا البحث يريد صاحباه أن يقدما أهم النتائج التي توصلا إليها ، وهي :

١. لقد قدمت الدراسات البلاغية وبالأخص في علم المعاني اهتماماً كبيراً بما أسمته في الاصطلاح (التعلق والمتعلقات) على أنها قيود تذكر في الجملة لتحديد مراد المتكلم الذي يريد إيصاله إلى أفراد الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها ، وقد أفاد البحث من تلك الرؤى في اقتناص القيم الدلالية التي تحملها تلك القيود المحددة لمديات الخطاب .

٢. ركز البحث على أثر الظرف والجار والمجرور من بين سائر المتعلقات الأخرى ؛ نظراً لكثرة تلك التعلقات وقيمها الدلالية ، وللأهمية الكبيرة التي يؤديها كل من الظرف والجار والمجرور في دلالات الجملة والنص .

٣. كشف البحث عن دور كل من الظرف والجار والمجرور في تحديد بؤرة النص وموطن الارتكاز داخل الجملة القرآنية ؛ ولذا ركز البحث على تلك النصوص القرآنية التي لو رفع الجار والمجرور أو الظرف منها لكان الإخبار بباقي الكلام أمراً معتاداً لا يشغل أذهان المخاطبين ، حيث مارسا الدور المحوري والمركزي داخل تلك النصوص التي عالجها البحث وتوقف عندها بغية الاستدلال والتطبيق .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤. دعوة الباحثين إلى تطوير تلك القراءة والعمل على توسيعها في بحث الآلية التي تمارسها متعلقات الفعل في تحديد البؤرة الارتكازية للنصوص موسع يتناول أجزاء تلك الظاهرة بغية تقنين مسائلها ، ووضع اليد حول القرآنية ؛ للخروج بدرس لغوي ذي منهج علمي وموضوعي .